التَّرْجَمَةُ الْغَرْبِيَّةُ لِمَعَانِي الْقُرْآنِ الْكَرِيْمِ -دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ-

Western translation of the meanings of the Holy Qur'an

- a critical study -

الباحثة: هبه محمد جابر حلواص

researcher : Hiba Mohammed Jaber Holwas

أ.د.حسن كاظم أسد

Prof. Dr. Hassan kadhim Asad

العراق / جامعة الكوفة / كلية التربية الأساسية/ قسم التربية الإسلامية

Iraq / University of kufa/ College of Basic Education

Islamic Education Department .

hibam.garaawe@student.uokufa.edu.iq

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

مُلَخَّصُ البحث:

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والصّلاة والسّلام على أشرف الخلق والمرسلين وعلى آله الطّيبين الطّاهرين.

أمّا بعد، فإنّ الاهتمام الغربيّ بترجمة القرآن الكريم يعود إلى تأريخ مبكّر من ظهور الدّراسات الاستشراقيّة؛ فإنّ أوّل ترجمة غربية للقرآن الكريم جرت في دير كلوني؛ وذلك عام ١١٤٣م. وكان الهدف من هذه التّرجمة، والتّرجمات الّتي تلتها، محاولة تزييف معاني القرآن الكريم وتحريفها، ورسم صورة مشوّهة عن الدّين الإسلاميّ بذلك؛ فتتابع ظهور التّرجمات الغربيّة للقرآن الكريم بلغات مختلفة، وقد حفلت معظم تلك التّرجمات بمغالطات وأخطاء فادحة مضمونيًّا، ومنهجيًّا، وفنّيًّا، جعلت تلك التّرجمات تبتعد عن المعنى الحقيقيّ للتّرجمة إلى كونها مقاربات، أو قراءات تأويليّة خاضعة للأهواء، والقناعات، والاعتقادات الّتي تشبّع بها المستشرق الغربيّ.

الهدف: يهدف هذا البحث إلى تناول الخصائص الّتي اتّصفت بها التّرجمات الغربية، وهي الّتي شكّل كثيرٌ منها أخطاءً منهجيّة، وفنّيّة، أدّت إلى تكوين معانٍ مغايرة لحقيقة النّصّ القرآنيّ.

أهمّيّة البحث:

تتجلّى أهمّيّة البحث بكونه يسلّط الضّوء على أهمّ الأخطاء الّتي وقع فيها مترجم

القرآن الكريم، وهي الّتي انعكست سلبًا على جودة ترجماتهم، وعندئذٍ رسم صورة مشوّهة عن الإسلام، تبتعد عن حقيقة النّصّ القرآنيّ.

مشكلة البحث وأوّل المسائل المطروحة هنا:

– ما خصائص التّرجمات القرآنيّة الغربيّة ؟

– ما هي أبرز مظاهر العشوائيّة المنهجيّة لتلك التّرجمات؟

– هل تمكن المستشرق الغربيّ من التّعامل مع النّصّ القرآنيّ بموضوعيّة ؟

منهج البحث: يقوم هذا البحث على المنهج التّحليليّ النّقديّ بالتّعرّض لأهمّ الخصائص الّتي تميّزت بها التّرجمات الغربيّة للقرآن الكريم، وما أدّت إليه من أخطاء أثّرت في جودة التّرجمة.

خطّة البحث:

-المبحث الأوّل: مناهج التّرجمات الغربيّة للقرآن الكريم.

-المبحث الثّاني: خصائص التّرجمة الغربيّة للقرآن الكريم.

الكلمات المفتاحيّة: ترجمة القرآن– الاستشراق – التّرجمة الحرفيّة – التّرجمة الغربيّة.

Significance of the Study

The importance of this research lies in its focus on the major errors committed by translators of the Qur'an. These errors have negatively impacted the quality of the translations and، consequently، contributed to the misrepresentation of Islam by presenting an inaccurate reflection of the Qur'anic text.

Research Problem and k**ey Questions:**

• What are the characteristics of Western translations of the Qur'an?

• What are the most prominent methodological inconsistencies in these translations?

• Have Western Orientalists been able to approach the Qur'anic text with objectivity?

Research Methodology:

This study adopts a critical analytical approach to examine the key features of Western translations of the Qur'an and the errors that have affected their accuracy and reliability.

Research Structure:

• Chapter One: Methodologies of Western Qur'anic Translations.

• Chapter Two: Characteristics of Western Qur'anic Translations.

keywords: Qur'an translation، Orientalism، literal translation، Western translation.

Abstract:

In the name of Allah، the Most Gracious، the Most Merciful. Peace and blessings be upon the noblest of creation and messengers، and upon his pure and righteous family.

The Western interest in translating the Qur'an dates back to the early emergence of Orientalist studies. The first Western translation of the Qur'an was produced at the Monastery of Cluny in 1143 CE. The primary objective of this and subsequent translations was to distort and misrepresent the meanings of the Qur'an، thereby constructing a misleading image of Islam. Over time، numerous Western translations of the Qur'an emerged in different languages. However، many of these translations contained significant conceptual، methodological، and technical errors، which led them to deviate from true translation and instead become interpretative readings influenced by the personal biases، ideological inclinations، and preconceptions of Western Orientalists.

Objective:

This study aims to examine the characteristics of Western translations of the Qur'an، many of which are marked by methodological and technical errors that result in distorted interpretations of the original Qur'anic text.

توطئة:

تُعَدُّ التّرجمة أداةً لا غنًى عنها في تعزيز التّواصل الحضاريّ، والتّأثير الثّقافيّ المتبادل بين الأمم، كما أنّها وسيلة أساسيّة؛ لنقل المعارف، والعلوم، والخبرات المختلفة بين البلدان، لقد أدّت التّرجمة دورًا محوريًّا في الحضارة الإسلاميّة؛ إذ كانت من أهمّ الأدوات الّتي ساهمت في الحفاظ على التّراث العلميّ والثّقافيّ للعالم القديم، ونظرًا إلى صعوبة المهمّة؛ فإنّ ترجمة معاني القرآن الكريم تُعَدُّ من أعقد المساعي الّتي شهِدها تأريخ التّرجمة وأصعبها؛ وذلك لأنّ نقل معاني الآيات المقدّسة إلى لغة أخرى غير اللّغة العربيّة، الّتي نزل بها القرآن، ليس بالأمر السّهل؛ وذلك لعجز لغة التّرجمة، عن نقل خصوصيّات اللّغة العربيّة، وتراكيبها البلاغيّة، وما تحمله الآيات القرآنيّة، من معانٍ، ومدلولات، لا تظهرها إلّا لغة القرآن الكريم الّتي أنزل بها، وما إنْ تلمّس الغرب مخرجًا، من ظلام عصوره الوسطى الحالكة، حتّى شرع نحو استلهام حضارة العالم الإسلاميّ، ونظمه، بواحدة من أهمّ حركات التّرجمة، الّتي شملت جميع المجالات، وأسهمت إسهامًا كبيرًا في تنوير القارّة الأوروبّيّة المظلمة.

وكان القرآن الكريم، من أوائل الكتب، الّتي تلقّت عناية أوروبّيّة، وحرصًا، من جهة المستشرقين، على دراسته، ونقله إلى جميع لغاتهم الأوروبّيّة، شهد الإقبال على دراسة القرآن الكريم وترجمته تنوّعًا في الأهداف والدّوافع والأسباب. فقد انصبّ الاهتمام على تأريخه، وبنيته، ومضامينه، وأسلوبه،

ولغته، واتّساقه، وانسجامه، وترتيب سوره، وتفسيره، وتأويله. وفي هذا السّياق، تباينت توجّهات الباحثين بين الموضوعيّة والحياديّة، وبين الإنكار والجحود الّذي يخدم أغراضًا دينيّة وتبشيريّة واستعماريّة. ونتيجة لذلك؛ فإنّ ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم غالبًا ما كانت عبارة عن تفسيرات وتأويلات وشروح أكثر منها ترجمات دقيقة؛ وذلك لأنّ الإتيان بترجمة مثاليّة وأمينة وصادقة للقرآن الكريم أمرٌ في غاية الصّعوبة، نظرًا إلى إعجازه اللّغويّ والمعنويّ والتّشريعيّ، وأنّ إعجازه يشتمل على جميع خصوصيّاته، وتراكيبه، وإيقاعاته، وصوته، وتنغيمه، ومعانيه، فتبقى التّرجمات نسبيّة، ناقصة، وعاجزة، عن المماثلة؛ ولذا يصعب الحديث عن ترجمة وفيّة، وأمينة للنّصّ، بقدر ما هي تفسيرات، وتأويلات، خاضعة لتصرّف المترجم بالحذف، والزّيادة، والتّغيير، والتّلخيص؛ فضلًا عن الأهداف المغرضة، والمضلّلة للمستشرقين، الّذين ترجموا القرآن الكريم، إلى لغات أجنبيّة، وبذلوا جهودًا كبيرةً، من أجل تشويه صورة القرآن الكريم في عيون المتلقّي الأوروبّيّ.

المبحث الأوّل: ترجمة القرآن الكريم

أوّلًا: مفهوم التّرجمة

أ- التّرجمة لغة :

تعني نقل الكلام من لغة إلى لغة أخرى غير لغته الّتي جاء بها، ترجم اللّسان، وترجم عنه غيره ترجمة فسّر كلامًا بلسانٍ آخرَ، فهو مترجم، وترجم الكتاب نقله من لغة إلى أخرى [١].

ويطلق على المُفسِّر تُرجمان، ((التّرجمان كعنوان، وزعفران، وريهقان: المفسِّر لِلّسان، وقد ترجمه عنه، والفعل يدلّ على أصالة التّاء))[٢]، وإذا فسّر شيئًا فقد ترجم له، ((وكذلك كلّ ما ترجمه عن حال شيء فهو فسّره))[٣]، والتّرجَمة التّفسير، أو هي إبدال لفظة أو عبارة بلفظة أو عبارة تقوم مقامها؛ لأنّ التّفسير هو الكشف عن الشّيء بلفظ أسهل وأيسر من لفظ الأصل[٤].

ب- التّرجمة اصطلاحًا:

يمكن تعريف التّرجمة في الاصطلاح بأنّها: ((نقل الكلام من لغة إلى أخرى، ومعنى نقل الكلام من لغة إلى أخرى: التّعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده، كأنّك نقلت الكلام نفسه من لغته الأولى إلى اللّغة الثّانية))[٥] .

وعُرفت بأنّها:((هي نقل الكلام من لغته الأصليّة إلى لغة أجنبيّة مع الحفاظ على المعاني والخصائص والإشارات للّغة الأولى في اللّغة الثّانية، نصّيًّا أو تعبيريًّا، بحيث يؤدّي المعنى المراد بمميّزاته في اللّغة الأمّ))[٦]، وعليه فالتّرجمة هي نقل معاني الألفاظ من لغته الأصليّة إلى لغة أخرى، مع الحفاظ على ما تحمله الألفاظ من دلالات، وخصائص لها دور في فهم مقاصد الكلام.

ج- أنواع التّرجمة :

تنوّعت ترجمات القرآن الكريم إلى ثلاثة أنواع؛ هي:

١- التّرجمة الحرفيّة: ((هي الّتي يراعى فيها محاكاة الأصل، في نظمه، وترتيبه))[٧]، والمحاكاة تكون بـ ((مطابقة الأصل في ترتيبه، ونظمه، تمام المطابقة، ولا اختلاف بينهما إلّا في اللّغة فقط، وهي في واقع الأمر غير ممكنة ولا مقدور عليها، فهي تكاد تكون نظريّة بحت))[٨]، وعلى هذا الأساس فمعنى التّرجمة؛ هو: ((مجرّد نقل الألفاظ من لغة إلى أخرى، بحيث تقابل كلّ لفظة نظيرتها مع الحفاظ على ترتيب الكلمات، يمثّل عمليّة محاكاة شكليّة للأصل، تشبه استبدال المرادف بمرادفه في نفس اللّغة، هذا النّمط من التّرجمة، أو «التّرجمة الحرفيّة»، غير ممكن في اللّغة العربيّة؛ وذلك لتميّزها الفريد بسعتها البلاغيّة وأساليبها البيانيّة. هذه الخصائص تجعل اللّغة العربيّة متفرّدة، ويصعب العثور على لغات أخرى تضاهيها في هذا الجانب. وبالتّالي، فإنّ ترجمة

القرآن الكريم ترجمة حرفيّة تؤدّي حتمًا إلى تغيير المعنى الأصليّ وتحريفه))[٩]؛ فكلّ لغة لها خصوصيّاتها، فما موجود في هذه اللّغة ليس بالضّرورة أنْ يكونَ له مثيل أو مقابل في اللّغة الأخرى[١٠]؛ فالمطابقة الحرفيّة من البعد بمكان، بل هي مستحيلة تمامًا في القرآن الكريم.

٢- التّرجمة اللّفظيّة: ((وهي إبدال لفظ بلفظ آخر يرادفه في المعنى الإجماليّ أو في المعنى القريب، بصرف النّظر عن المعاني التّبعيّة والبعيدة عن الخصائص والمزايا، وهذه ممكنة على وجه الإجمال بالقدر المستطاع في بعض الألفاظ دون بعض، وفي بعض اللّغات دون بعض، وتكون ساذجة ولا تسلم من الخطأ والبعد عن المراد))[١١].

وسبب وجود الخطأ والبعد عن المراد؛ هو اختلاف اللّغات من حيث الأسلوب والأداء البلاغيّ، وكذلك ما تتضمّنه كلّ لغة من النّكات والدّقائق الكلاميّة السّائدة فيها بحسب عرفها الخاصّ[١٢]، وهذه التّرجمة تُعَدّ: ((أردأ أنحاء التّرجمة، وفي الأغلب توجب تشويشًا في فهم المراد، أو تشويهًا في وجه المعنى، وربّما خيانة بأمانة الكلام؛ حيث المعهودُ من هكذا تراجم لفظيّة هو تغيير المعنى تمامًا))[١٣].

تتّسم هذه التّرجمة بكونها رديئة لما تؤدّيه من تشويه المعنى وتحريفه؛ ولذلك لا يمكن الاعتماد على ترجمات كهذه؛ لأنّها بعيدة عن نقل المعنى المراد من اللّفظ في اللّغة الأمّ.

٣- التّرجمة التّفسيريّة: ((وهي الّتي لا يراعى فيها تلك المحاكاة، أيْ: محاكاة الأصل ـ في نظمه وترتيبه، بل المهمّ فيها حسن تصوير المعاني والأغراض كاملة، ولهذا تسمّى أيضًا بالتّرجمة المعنويّة، وسُمِّيت تفسيريّة؛ لأنّ حسن تصوير المعاني والأغراض فيها جعلها تشبه التّفسير، وما هي بتفسير))[١٤]، فهي تعني أنْ ينقلَ مضمون الكلام من لغته إلى لغة أخرى من غير تقيّد بترتيب الألفاظ ونظمها، أو عدد الكلمات المترجم إليها؛ ((ففي التّرجمة التّفسيريّة لا نراعي المحاكاة بين الأصل واللّغة المنقولة لها بل يعمد المترجم إلى المعنى الّذي يدلّ عليه تركيب الأصل، فيفهمه بدقّة في المرحلة الأولى ثمّ يصبّه بقالب آخر باللّغة الأُخرى يؤدّي المعنى الموجود في الأصل ولا يتوقّف عند كلّ مفردة ويستبدلها بلفظ مساوٍ لها؛ وهذا هو الفارق بينها وبين التّرجمة الحرفيّة))[١٥]، وتسمّى المعنويّة لأنّها تشتمل على المعاني والأحكام الّتي يدلّ عليها القرآن الكريم فهي ليست إلّا ترجمة لتفسير القرآن[١٦].

وهذا النّوع من التّرجمة عند الشّيخ محمّد هادي معرفة يُقسم على قسمين[١٧]:

القسم الأوّل: التّرجمة التّفسيريّة غير المبسّطة (التّرجمة المعنويّة) وكذلك تسمّى بالمطلقة (المسترسلة)؛ أيْ: إنّها غير مقيّدة بالنّظم الأصليّ؛ وهي ترجمة مقبولة ومعقولة، وهذا النّوع هو المعتمد عند أرباب الفنّ؛ إذ إنّهم ينظّمون التّرجمة بحسب فنون اللّغة المترجم إليها وأساليبها، فلا يتقيّدون بنظم الأصل، من ناحية التّقديم والتّأخير؛ لأنّ الملحوظ عندهم هو إيفاء المعنى بتمامه وكماله.

القسم الثّاني: التّرجمة التّفسيريّة المبسّطة، وهي أكثر بعدًا عن التّرجمة، وأقرب ما تكون إلى الشّرح والتفسير.

بعد الاطّلاع على أنواع التّرجمات يظهر أنّ التّرجمة الأولى لا مجال لتطبيقها لاستحالتها؛ بسبب خصائص كلّ لغة، فضلًا من نظمها وترتيبها، وأمّا التّرجمة الثّانية فهي حتّى إذا كانت ممكنة من حيث التّطبيقُ؛ فإنّها لا يمكن الاعتماد عليها من ناحية نقل المعنى المراد من اللّفظ في اللّغة الأصليّة؛ لِمَا يشوبه من تغيير وتشويه؛ بسبب اختلاف خصائص اللّغة المترجم إليها عن اللّغة الأصل، أو استعمال لفظ يغيّر المعنى الحقيقيّ في اللّغة الأصليّة، وبقيت التّرجمة التّفسيريّة وهي التّرجمة الّتي يكون هدفها نقل المعنى، ولا تتقيّد بالنّظم والتّرتيب، ولا تراعي إبدال لفظ بلفظ آخر يرادفه، وهذا النّوع من التّرجمة هو المتعارف عليه في وقتنا الحاضر، وهو الرّاجح لما تقدّم ذكره من إمكانيّة نقل معاني الكلام من غير إخلال في خصائصه العامّة.

ثانيًا: إمكانيّة التّرجمة

أ- هل يترجم الوحي الإلهيّ بعبارات بشريّة؟

يُعَدّ موضوع إمكانيّة التّرجمة وعدمه من الموضوعات المهمّة الّتي شغلت بال المسلمين قديمًا وحديثًا، وأنّ أهمّيّة هذا الموضوع نابعة من أهمّيّة القرآن الكريم نفسه لما يتمتّع به من مكانة كبيرة في قلوب المسلمين؛ ولكونه يتميّز بمزايا تجعله مهيمنًا على سائر الكتب السّماويّة.

ولا شكّ في أنّ معالجة موضوع ترجمة القرآن الكريم إلى اللّغات الأجنبيّة، شرقيّة كانت أم غربيّة؛ فهي معالجة مهمّة لموضوع مهمّ جدًّا وخطير أيضًا؛ ((ذلك أنّ كتاب الله العزيز الكريم ليس كمثله كتاب، وهو لفظ ومعنًى؛ فلا يمكن اعتبار المعنى وحده قرآنًا، بل هو بلفظه ومعناه قرآن))[١٨]، وقد اجتمعت فيه ثلاث خصال جعلته كتابًا سماويًّا مقدّسًا، ومهيمنًا على سائر الكتب السّماويّة الأخرى، وهذه الخصال هي[١٩]:

١- إنّه كلام الله المتعبّد بتلاوته.

٢- إنّه كتاب هداية للبشر ويهدي إلى الصّراط المستقيم.

٣- كونه المعجزة الخالدة لصدق نبوّة النّبيّ محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم).

وهذه الخصال المهمّة الّتي اجتمعت في كتاب الله الّذي يميّز أسلوبه وفصاحته وبيانه وتشريعاته، ونظمه الّذي أبهر وأعجز كلّ من حاول معارضته من نوابغ العرب فضلًا من سائر الأمم الأخرى، ((إنّ القرآن الكريم تحدّى العرب خاصّة بأنْ يأتوا ولو بسورة مثله، فعجزوا ويعجزون هم وغيرهم عن ذلك، فلمّا كان معجزًا لمن حاول معارضته؛ فإنّه كذلك معجزًا في ترجمته لفظًا ومعنًى. وعلى هذا الأساس فإنّ الإعجاز كما هو بالنّسبة للعرب تحدٍّ يظهر عدم إمكانهم من الإتيان بمثله؛ فإنّه كذلك أيضًا بالنّسبة لمن غامر في التّرجمة؛ لأنّه معجز في حالتيه لفظًا ومعنًى وتستحيل ترجمته))[٢٠]، وبناءً على ما تفرّد به القرآن الكريم من المزايا، والخصائص الجماليّة، والأسلوبيّة، الّتي أعجزت

كلّ من رامَ محاكاته من العرب، وصرّح بلغاؤهم بشدّة الإعجاب والانبهار به، والضّعف أمامه، وعدم التّمكّن من مجاراته، ولو بالشّيء اليسير، يُظهر أنّ أمر ترجمته ترجمة كاملة بكلّ ما فيه من الخصائص، لهو أمر متعذّرٌ قطعًا.

والواقع أنّ القول باستحالة ترجمته، منصرف إلى التّرجمة الحرفيّة الّتي تقدّم ذكرها والحكم باستحالتها، أمّا التّرجمة المعنويّة فلا تكون مستحيلة ولا ممنوعة، أنّها أقرب ما تكون إلى التفسير؛ لأنّ القرآن الكريم كتاب هداية للبشر جميعًا وليس مقصورًا على العرب فحسب، وإلّا لَمَا كان مُعجزًا للبشر جميعًا، فعند ترجمة معاني القرآن الكريم ((يرجع إلى المعاني الأصلية الّتي يشترك في تفهّمها وأدائها جميع النّاس، وتقوى عليه جميع اللّغات، وهذا النّوع من المعاني يمكن ترجمته حتّى يستفيد منه من لا يعرف العربيّة من المسلمين))[٢١].

إنّ الحديث عن إمكانيّة التّرجمة المعنويّة التّفسيريّة لا يعني أنّه بإمكانها استيعاب جميع الجوانب والحقائق الّتي عالجها القرآن الكريم، أو أنّها تتمكّن من تناول الأبعاد المختلفة الّتي دلّت عليها الآيات القرآنيّة، ولعلّ السّرّ الكامن وراء العجز عن الإتيان بترجمة وافية للقرآن الكريم، أنّه مهما حاول الإنسان الالتفات إلى مختلف النّقاط والجوانب المتفاوتة، يبقى ذهنه قاصرًا وفكره محدودًا بالتّركيز في موضوع واحد أو موضوعات عدّة، ولا يتمكّن من أنْ يعكسَ الجهات والأبعاد كافّة؛ ممّا يجعل من المستحيل الإتيان بترجمة وافية للقرآن[٢٢]، فالفكر البشريّ يبقى محدودًا مهما بلغ من التّقدّم العلميّ، إذا ما

قورن بكلام الله تعالى الّذي يحتمل من المعاني ما هو أكبر من أنْ يحيطَ به العقل البشريّ.

ب- اعترافات المستشرقين بعدم إمكانيّة ترجمة القرآن الكريم:

إنّ كلّ منصف يطّلع على القرآن الكريم يدرك بوضوح مدى تفوّق القرآن الكريم على سائر ضروب الكلام وأنّه لا يمكن أنْ يقارنَ بالقرآن كلام آخر؛ الأمر الّذي يجعلهم يدركون في قرارة أنفسهم أنّ التّرجمة الكاملة للقرآن غير ممكنة، فلم يدّعِ مترجم -حتّى اليوم- تمكّنه من نقل القرآن الكريم إلى لغة أخرى؛ بكلّ معانيه ودلالاته، دون نقص! بل ظهر لكبار المترجمين عجزهم المتزايد في ذلك عند مسار التّرجمة؛ الأمر الّذي قادهم إلى الاعتراف بعظمة القرآن الكريم؛ بما يجعله عصيًّا على أهداف المستشرقين؛ ولذلك وصفوا ترجمتهم بأنّها محاولة للتّعبير عن مدى فهمهم لمعاني كلام الله ومفاهيمه اللّامتناهية، مطلقين على عملهم ترجمة نسبيّة[٢٣].

فمن بين المستشرقين نجد مَن يعترف بصعوبة ترجمة القرآن، وعدم إمكانيّتها وفاء المعاني القرآنيّة حقّها وبأنّها تشوّه كلماته، وبأنّها تفقد القرآن الكريم بلاغته وروعة أسلوبه العجيب الّذي أبهر كلّ من استمع إليه .

يقول المستشرق ألفريد جيوم[٢٤] (Alfred Guillaume): ((القرآن من النّصوص الأدبيّة العالميّة الّتي لا يمكن ترجمتها دون أنْ تفقدَ قيمتها، ففيه جرس له جمال عجيب، وتأثير تطرب له الأذن، وكثير من المسيحيّين العرب

يتحدّثون بإعجاب شديد عن أسلوبه، وقد أُخِذَ أكثر المستشرقين بروعته، وحينما يتلى القرآن نجد أنّ له تأثيرًا ساحرًا يجعل المستمع لا يلقي بالًا إلى تركيب جمله العجيب، أو إلى ما يحتويه -في بعض الأحيان- من مسائلَ تزهّدنا فيه نحن المسيحيّين، وهذه الصّفة الّتي للقرآن، بما تجعل في لغته من رنّة حلوة، والّتي تخرس أيَّ نقد له، وقد أدّت إلى نشوء الاعتقاد بأنّ القرآن لا يمكن محاكاته، والحقيقة المؤكّدة أنّه ليس في الأدب العربيّ-على خصوبته واتّساعه في النّثر والشّعر- ما يمكن مقارنته بالقرآن))[٢٥].

أمّا المستشرق جِب (GIBB) فيذهب إلى القول: بأنّه لا يمكن ترجمته بنحوٍ أساسيّ حينما قال: ((الواقع أنّ القرآن لا يمكن ترجمته بشكل أساسيّ، كما هي الحال بالنّسبة إلى الشّعر الرّفيع، إذ ليس بالإمكان التّعبير عن مكنون القرآن باللّغة العاديّة، ولا يمكن أنْ يعبِّرَ عن صوره وأمثاله؛ لأنّ كلّ عطف أو مجاز أو براعة لغويّة يجب أنْ تدرسَ طويلًا قبل أنْ ينبثقَ المعنى للقارئ، وفي القرآن كذلك صور تؤدّي فيها موسيقى النّغم دورًا لا يمكن تحديده، لأنّها تُعَدّ بسحرها أفكار الشّخص الّذي يصغي إلى القرآن لتلقّي تعاليمه، ولا شكّ أنّ تأويل كلمات القرآن إلى لغة أخرى لا يمكن إلّا أنْ يشوهّها، ويحوّل الذّهب النّقي إلى فخّار، إذا لم يألف المرء مدة طويلة لغة الكتاب المراد ترجمته، كما هي الحال بالنّسبة إلى التّرجمات إلى اللّغتين اللّاتينيّة والإنكليزيّة للكتب العبريّة واليونانيّة، فإنّ التّرجمة تبدو فارغة لا تعبّر عن روح الأصل،

وإذا أردنا أنْ نترجمَ مثلًا إلى اللّغة الإنكليزيّة هذه الآية الموجزة البسيطة: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾[٢٦]؛ فإنّه يجب علينا لأداء المعنى أنْ نعيدَ كلمة (نحن) خمس أو ستّ مرّات؛ الأمر الّذي يناقض المحافظة على بلاغة الآية)) [٢٧].

أمّا سانت هيلر (Saint-Hilaire) وهو مستشرق فرنسيّ ومترجم أعمال أرسطو، نشر في العام ١٨٦٥م ترجمة للقرآن وألّف كتاب (محمّد والقرآن)، وبعد أنْ عبَّرَ عن انبهاره بالسّبك القرآنيّ وإعجازه البيانيّ، كتب عن ترجمة القرآن الكريم ما يأتي: ((لم يمنع تعصّب نصارى العرب الشّديد من الاعتراف بمدى تأثير ذلك الكتاب العظيم في قلوب السّامعين. فإنْ تُرجِم القرآن، ذهب جُلّ ملاحة كلامه وقدرته الخاصّة في التأثير برودًا في موسيقاه الدّافئة وكلامه الموزون. ومع ذلك، يبقى أفق تلك الشّعلة الخالدة متّقدة ساطعة، تخترق غيوم التّرجمة الكالحة)) [٢٨].

يتبيّن بالعرض السّابق أمران؛ الأوّل: هو أنّ ترجمة القرآن الكريم ترجمة كاملة بكلّ ما يشتمله من حقائقَ معرفيّةٍ، ومزايا جماليّة هو أمر مستحيل، وهو راجع إلى إعجاز القرآن الكريم، والأمر الثّاني هو أنّ محاولة ترجمة معانيه، والاقتراب من بيان حقائقه، هو أمر من الصّعوبة بمكان جعل المستشرقين، وكلّ من سلك مسلكهم، يعترف بصعوبته وفقدان الخصائص المميّزة له بعمليّة التّرجمة.

المبحث الثّاني: مناهج التّرجمات الأوروبيّة

تعتمد دقّة النّتائج في أيّ دراسة، على سلامة المنهج المتّبع في بحثها، وهذا المنهج يُعَدّ الأساس، الذي يدعو للاطمئنان إلى ترجمة معيّنة؛ من أجل قبولها أو ردّها.

لم يكن المستشرقون الغربيّون في ترجماتهم القرآنيّة، يتّبعون قواعدَ منهجيّة، ولم يتحلّوا بالموضوعيّة؛ ولذلك فإنّ ترجماتهم، لا يمكن الوثوق، أو الاطمئنان إليها، يقول موريس بوكاي[٢٩] ((وإذا أمعنت النّظر في طرائق المستشرقين لترجمة القرآن، علمت أنّه من غير الممكن أنْ تحصلَ على واحدة يطمأنّ إليها بين ترجماتهم))[٣٠].

حفلت التّرجمات الأوروبيّة للقرآن الكريم بمغالطات، وأخطاء فادحة مضمونيًّا ومنهجيًّا وفنّيًّا، كما أنّها انطوت على دوافعَ، وأهدافٍ دينيّةٍ، وأبرز هذه الدّوافع هو التّبشير، مضافًا إلى سعيهم نحو تحصين المجتمع المسيحيّ، من أنْ يتأثّرَ بالإسلام، بإبراز صورة سيّئة ومشوّهة، عن الدّين الإسلاميّ، وقد تناول الباحثون نماذجَ كثيرةً من هذه المغالطات والأخطاء. ولذلك سوف نورد بعض النّقاط الّتي شكّلت الملامح العامّة لمناهج المستشرقين الأوروبّيّين في التّرجمة القرآنيّة:

أ- تمثّل مسألة اختيار عنوان لأيّ مؤلّف أهمّيّة كبيرة؛ لأنّه الدّالّ على

مضمون الكتاب، والهادي لمحتواه، والمرشد؛ لما فيه من معرفة، وهذا الأمر لم يكن غائبًا عن ترجمات القرآن الكريم؛ إذ اعتمدت تسمية التّرجمات بتسميات وعناوين توحي بعدم إلاهيّة مصدر القرآن؛ من أجل رفع القداسة عنه، وإعطاء القرآن الكريم صفة البشريّة، ((وغالبًا ما يرتبط الكتاب المترجم بعنوان مضلّل رئيس، وهو(قرآن محمّد) كما في التّرجمات اللّاتينيّة الأولى، بمعنى أنّ القرآن الكريم مختلق، ومصطنع، كتبَه محمّد، وليس وحيًا ربّانيًّا منزّلًا على نبيّ، أو رسول، وعندئذٍ لم يأتِ هذا الكتاب -برأي بعض المترجمين المغرضين- بشيء جديد، بل يعبِّر عن البداوة، وثقافة الصّحراء، ويستمدّ مضامينه وقصصه من المصادر النّصرانيّة، واليهوديّة، بطريقة مشوّهة، ومحرّفة))[٣١]، وهذا يُعَدّ أهمّ الانزلاقات الّتي وقع فيها المستشرقون في ترجماتهم؛ فقد نسبوا القرآن الكريم إلى النّبيّ محمّد ﷺ تأليفًا، ونسخًا، وصياغةً؛ وذلك لأجل رفع الصّفة الإلهيّة، والقداسة عنه كما في أغلب التّرجمات الأوروبّيّة، كالتّرجمة الرّوسيّة والفرنسيّة والإنجليزيّة والإيطاليّة والألمانيّة.

ب- إنّ أهمّيّة وضع مقدّمة لأيّ مؤلّف، تكمن في كونها، تحوي مختصرًا بمحتوى الكتاب، ومفتاحًا لفكّ رموز ما في الكتاب، فهي الهادي إلى مضمونه، والباعث على قراءة الكتاب، أو عدمه، كما أنّ كثيرًا من المؤلّفين، يضع فيها الهدف الّذي من أجله سطر حروفه في كتابه، وهذا الأمر لم يكن خافيًا على المستشرقين، الّذين توجّهوا نحو ترجمة القرآن الكريم؛ فقد أولَوا مقدّمات

ترجماتهم عناية كبيرة، ركّزوا بها على أهدافهم من التّرجمة، ((وضعوا المقدّمات والدّراسات لترجمات القرآن، ونشروها قبل التّرجمة مدخلًا إلى القرآن، متضمّنة التّشهير بالإسلام والنّبي والمسلمين والعرب، استنادا إلى المصادر اليهودية))[٣٢]، فأضاف بعض المترجمين بجانب القرآن، مقدّمات وملاحق محرّفة لكلام الله تعالى؛ وهي عبارة عن مقدّمات تفسيريّة، وملاحق شارحة لا لمضمون النّصّ المترجم، بل مناقشات ضدّ أصالة القرآن الكريم وسخريّة من محتواه، ((تنطلق من اعتقاد أساسيّ راسخ عند هؤلاء المترجمين، وهو رفض حقيقة أنّ القرآن الكريم منزل من عند الله تعالى، والادّعاء أنّه تأليف النّبيّ محمّد ﷺ، ومحاولة إثبات أنّه نقل عن القدامى، أو قلَدهم، والعمل على إبراز أنّ القرآن الكريم، مليء بالعبارات المثيرة للسّخريّة، أو الغموض، وأنّه لا يتضمّن أيّ تشريع يذكر، ومن طرائقهم في تمرير هذا الكذب والبهتان، اختيارهم لعبارات معيّنة، واستخدامهم الهوامش والتّعليقات في آخر الصّفحات، إضافة إلى المقدّمات الّتي يكتبونها، والّتي تعطي لهم المِساحة الكافية للتّزييف))[٣٣]، ((فلم يكن الغرض والهدف من وضع مقدّمة للتّرجمة توجيه للقارئ نحو أهمّيّة القرآن، وضرورة الاطّلاع على مضمون آياته، باعتباره كتابًا إنسانيًّا يسعى إلى تخليص البشريّة من قيود الشّرك، والعبوديّة إلى عوالم الوحدانيّة، والرّوحانيّات النّقيّة، والصّافية، بقرائنَ عقليّةٍ، وحجج موضوعيّة، وأدلّة علميّة؛ لإدراك جوهره وكنهه، بقدر ما كانت تحذيرات حاقدة، ومرتجلة

لم تتأسّس على آليّات موضوعيّة، من مناهجَ، ونقد، ومقاربات، فجاءت في أشكال عشوائيّة وهياكل جامدة، هدفها تشويه الحقائق، وتحجيم قداسة القرآن، بجدولته، وهيكلته ضمن المؤلّفات البشريّة، الّتي تخضع للإبداع الفرديّ، والمتخيّل الأدبيّ))[٣٤].

ج- اعتماد التّرجمات الأوروبيّة للقرآن الكريم على التّرجمة النّصّيّة، والابتعاد عن التّرجمات التفسيريّة، ((اعتمد المستشرقون في ترجمة القرآن الكريم على النّصّ، وليس المعنى، ونلحظ هذه القاعدة من خلال عناوين بعض التّرجمات، بل بعض المستشرقين صرّحوا بذلك في مقدّمات ترجماتهم))[٣٥]؛ وهذا يؤدّي إلى نتائجَ غير صحيحة بلا شكّ لاختلاف اللّغة العربيّة عن غيرها من اللّغات بصفات كثيرة، ((ومن الواضح أنّ اعتماد التّرجمة النّصّيّة أدّى إلى نتائجَ خاطئةٍ؛ لأنّه يصطدم بحقيقة وواقع القرآن الكريم الإعجازيّة، والّذي ثبت عدم إمكانيّة الإتيان بمثله لأهل الفصاحة والبلاغة آنذاك))[٣٦]، ومن أهمّ النّتائج الخاطئة، الّتي أدّت إليها التّرجمة الحرفيّة، هي غياب الخصائص البلاغيّة، والإعجازيّة، الّتي يتمتّع بها النّصّ القرآنيّ، ((الاعتماد على التّرجمة النّصّيّة وليس المعنائيّة بما لا ينسجم مع حقيقة القرآن الكريم الإعجازيّة، فإنّ عجز اللّغة العربيّة مع ثرائها اللّغويّ والأدبيّ والبلاغيّ عن المجيء بمثل سورة أو حديث من القرآن، يستلزم عجز غيرها من اللّغات من باب أولى))[٣٧]، وفي بعض الأحيان، نجد المترجم يلجأ إلى التّرجمة المعنويّة،

والتّأويليّة فيهمل الخصائص اللّفظيّة، والبلاغيّة للقرآن الكريم، ((أيْ: إنّها ترجمة حرفيّة من جهة، وترجمة معنويّة تأويليّة من جهة أخرى، وهنا يصعب الحديث عن إعجاز القرآن الكريم، إذا كنّا نركّز على المعنى دون الصّياغة اللّفظيّة، والبلاغيّة، والبيانيّة. وعليه فعناوين تلك التّرجمات مغالطة كبيرة، وبعيدة كلّ البعد عن ترجمة القرآن الكريم))[٣٨].

فإنْ عجزت العربيّة بثرائها عن المجيء بمثل حديث من القرآن، فغيرها من اللّغات أعجز لأسباب كثيرة منها[٣٩]:

١- ثراء اللّغة العربيّة بالمفردات والمترادفات ممّا ليس له مثيل في سائر اللّغات.

٢- بنية الجملة في اللّغة العربيّة تختلف عنها في اللّغات الأوروبّيّة.

٣- النّظام اللّغويّ من حيث الضّمائر والتّذكير والتّأنيث والإفراد والجمع.

٤- الأساليب البلاغيّة والنّظام الصّوتيّ والتّركيبات الصّرفيّة وغير ذلك.

((وعليه فإنّ ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم، ليست ترجمات بالمعنى الحقيقيّ لكلمة التّرجمة؛ لأنّها مجرّد تصرّف في المعاني، وليست بالأحرى ترجمة حرفيّة أو لفظيّة، بمعنى أنّها مقاربات أو قراءات تأويليّة لمعاني القرآن

الكريم، تنطلق من ذات المستشرق، الّتي تخضع بدورها للأهواء، والقناعات، والاعتقادات، الّتي تشبَّع بها المستشرق الغربيّ جزئيًّا أو كلّيًّا))[٤٠].

إنّ أمثلة التّرجمة الحرفيّة كثيرة في التّرجمات الأوروبّيّة، وهي تكشف بوضوح أنّ ترجمة القرآن الكريم اللّفظيّة، أمر مستحيل؛ لأنها لا تؤدّي إلى نقل الحقائق القرآنيّة، بل تؤدّي إلى إخلال بالمعاني، وتحريف في النّصّ القرآنيّ، والابتعاد عن التّراكيب القرآنيّة في المفردات، والأساليب المختلفة، الّتي تميّزت بدقّة التّعبيرات البلاغيّة. وهذه بعض الأمثلة على تلك التّرجمة الحرفيّة:

١- ((قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا﴾[٤١]، المقصود من المرض في الآية هو الشّكّ والنّفاق، أو الجهل، والجبن، والبخل وغيرها من الرّذائل الخلقيّة، ولا يراد منه الحالة المعروفة الّتي تنتاب الجسم، لكنّ المترجمين ترجموا (المرض) ترجمة حرفية (disease)، فلم تعطِ المعنى المقصود من الآية))[٤٢].

٢- ((قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾[٤٣].

And of his sings are the ships that run on sea like land mark.

ترجمت الآية هكذا: إنّها ترجمة حرفية لكلّ لفظ على حدة، إضافةً إلى

تصويرها ظاهر اللّفظ، حين ذكرت أنّ الأعلام هي (land marks)، مع أنّ المراد بها في الآية: الجبال الشّاهقة، جاء في المفردات للرّاغب: العلم الأثر الّذي يعلم به الشّيء كعلم الطّريق و علَم الجيش، وسُمّي الجبل علمًا كذلك، وجمعه أعلام قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ، وفي أخرى: ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ﴾ ((٤٤)) ((٤٥)).

ويتّضح ممّا تقدّم أنّ المستشرقين الأوروبّيّين لم يستطيعوا أنْ يصلوا إلى المعاني الحقيقيّة لأغلب الآيات القرآنيّة، ما ولّد أخطاء كبيرة في فهم النّصّ أوّلًا، ونقله إلى الآخرين ثانيًا، ناهيك عن المبدأ الأساس الموجود في دواخلهم؛ للانتقاص من القرآن الكريم باعتباره قرآن محمّد ﷺ، وقرآن البداوة والصّحراء.

د- ترجمة الحروف المقطّعة في أوائل بعض السّور القرآنية، ((فنجد أنّ جورج سيل أساء ترجمتها، فراح يترجمها بما يقابل أصواتها بالحروف اللّاتينيّة؛ إذ ترجمها إلى أحرف هجائيّة إنجليزيّة مقابلة، فأصبحت أ.ل.م (ALM)، و أ.ل.ر (ALR)، و ن (N)، وك.ه. ي.ع. ص (C-H-Y-A-S)، وطه (T-H)) وكلّها لا تمتّ بصلة إلى الأصل الّذي يجب أنْ يكتبَ كما يقرأ لا كما يهجأ)).

لا شكّ أنّ هذا دليل على عدم تمكّن (سيل) من العربيّة لغة القرآن؛ فاستعمل التّرجمة الحرفيّة من دون عناء، فهو لم يبحث لها عن مقابل في اللّغة

الهدف، أو أراد أنْ يفهمنا أنّ هذه الحروف، والّتي قال عنها المفسّرون إنّها سرّ إعجاز القرآن، ولا يعلمها إلّا الله، أراد أنْ يوهمَنا بأنّه استطاع أنْ يجدَ لها مقابلًا في ترجمته، ولا حاجة إلى القارئ بأنْ يجهدَ نفسه ويقفَ أمامها، جاهلًا معناها، بل هي بهذه الكيفيّة، تبدو سهلة واضحة بلا غموض، أو ربّما أراد أنْ يشيرَ إلى مثل ما ردّده من سبقه من المستشرقين، الّذين يزعمون أنّ هذه الحروف دخيلة على نصّ القرآن الكريم وليست من القرآن الكريم، وإنّما هي رموز لمجموعات الصّحف الّتي كانت عند المسلمين قبل توحيد المصاحف، وكتابة المصحف العثمانيّ.

وهذا دليل واضح على عدم استيعاب المترجمين الغربيّين لمعاني القرآن الكريم الإلهيّة وحاجاته؛ مكتفين بترجمات حرفيّة لا فائدة منها، ولا تستطيع أنْ تُوصِل المتلقّي إلى الهدف الرّئيس من هذه الحروف والكلمات.

هـ- إغفال النّصّ العربيّ في التّرجمة: إنّ الأهداف المغرضة الّتي انطلق منها مترجمو القرآن الكريم الغربيّون، جعلتهم يتجاوزون كثيرًا من أساسيّات البحث العلميّ؛ ولذلك فلم يعيروا للالتزام بالنّصّ العربيّ أهمّيّة، ((يؤلّف هذا النّهج الاستشراقيّ أكبر عائق أمام استحقاق أعمال المستشرقين اسم التّرجمة؛ لأنّ بديهيّات التّرجمة، تعني الانطلاق من الأصل المترجم، لكن فكرة التّنصير الّتي كانت وراء ترجمة القرآن الكريم، وكذلك الحرب ضدّ الإسلام والمسلمين، لم ترَ دراسة أصل المصادر ضروريّة، وإلى جانب هذه العوامل

التّنصيريّة؛ فإنّ بعض المستشرقين كانت لهم دوافعُ خاصّةٌ، أدّت بهم إلى إغفال الأصل القرآنيّ، إضافة إلى الجهل باللّغة العربيّة؛ وهذا يعني أنّ الأصل القرآنيّ ظلَّ مغفلًا بشكل كلّيّ، طَوال سبعة قرون، ولمّا حلّ القرن التّاسع عشر أصبح مغفلًا بشكل جزئيّ))[٤٦]،((في بعض الأحيان نصطدم بجملة من المستشرقين، قد ترجم القرآن الكريم إلى لغاتهم أو لغات أخرى، مع جهلهم باللّغة العربيّة، كما صرّح بعضهم، فالتّرجمة تتمّ بواسطة، أو بواسطتين، أو ربّما أكثر من ذلك، مع أنّه من البديهيّ والمنطقيّ في علم التّرجمة أنْ ننطلقَ من النّصّ الأصليّ، لا من النّصوص المترجمة))[٤٧]،((حيث نجد بعض التّرجمات لم تكن من اللّغة العربيّة مباشرة، بل تتمّ بواسطة أو واسطتين أو ربّما أكثر من ذلك، فترجمات القرآن الكريم في المرحلة الأولى، كانت ترجمة لترجمة ديركلوني أو للترجمتين الوسيطتين(ترجمة دي ريور الفرنسيّة، وترجمة اندريا اريبابيني الإيطالية))[٤٨].

و- إزاحة الآيات من مكانها التّوقيفيّ، بمعنى تعمّد تغيير موضع الآيات القرآنيّة عن مكانها؛ لتضليل القارئ وإبعاده عن الإحاطة بحقيقة النّصّ القرآنيّ، ((أعلن بعض المستشرقين رأيه، بأنّه ثمّة آيات أو كلمات ليست في مكانها بالقرآن الكريم، وأنّه ينبغي أنْ تكونَ في مكان آخر سابق أو لاحق، وانطلقوا من هذه الفكرة وحقّقوها -في ترجماتهم- لما في ذلك من تضليل للقارئ، وبلبلة، وحملهُ على عدم الإحاطة بحقيقة النّصّ القرآنيّ، وبصحّة المبادئ الإسلاميّة))[٤٩].

ونشير إلى أنّ هذه الطّريقة هي أبعد ما تكون عن حقيقة التّرجمة الفعليّة لأيّ نصّ بشريّ؛ فكيف إذا كان النّصّ إلهيًّا؛ لذا ترى الباحثة أنّ هذه التّرجمة بتغيير أماكن السّور والآيات، قد ابتعدت عن الحقيقة المراد توضيحها في هذه السّور والآيات.

ز- ((إعادة ترتيب سور القرآن الكريم رغم أنّ قواعد التّرجمة، تعني التزام المترجم نقل نظام المادّة المترجمة وترتيبها كما جاءت في الأصل؛ وذلك في النّصّ الإنسانيّ، ناهيك عن صرامة هذا الالتزام في الكتب المقدّسة، لكنّ المستشرقين تجاوزوا هذا الالتزام، وراحوا يعيدون التّرتيب القرآنيّ للسّور، فنزعوا نزعات شتّى في ترجماتهم، وسلكوا مسالكَ عدّة، أثمرت أنظمة وهياكل مختلفة لترتيب السّور القرآنيّة، وكأنّ المُترجَم عدّة كتب مختلفة، وليس كتابًا واحدًا))[٥٠].

وقد ظهرت نزعات التّرجمات الاستشراقيّة في إعادة ترتيب السّور القرآنيّة في الأنساق الآتية[٥١]:

١- التّرتيب المصحفيّ المأثور: التزم به بعض المستشرقين مثل جورج سيل.

٢- ترتيب السّور وفق النّزول: مثل ترجمة إدوارد بالمر، وترجمة جون رادويل.

٣- التّرتيب التّأريخيّ وفق مراحل الدّعوة: بدأ هذه المحاولة تيودور

نودلكه في كتابه الشّهير تاريخ القرآن عام ١٨٦٠م، ثمّ تأثّر به الإنجليزي وليم موير في ترجمته الإنجليزية للقرآن الكريم.

ويترتّب على هذه المنهجيّة الخاطئة، الّتي اتّبعها بعض المستشرقين نتائجُ غيرُ علميّة؛ وذلك بسبب[٥٢]:

١- مخالفتها الواقع التّأريخيّ، مثل التّرجمات الّتي زادت عدد السّور القرآنيّة فيها أكثر من ١١٤ سورة، وهو عدد السّور المصحفيّ، الّذي أجمع عليه المسلمون طَوال خمسة عشر قرنًا من الزّمان.

٢- خروجها عن الموضوعيّة العلميّة، الّتي تلزم بمراعاة النّصّ المكتوب؛ سواء كان ترجمةً أم بحثًا، ومن جهة أخرى تفتح بابًا لا يغلق أمام دور الهوى، والذّوق الشّخصيّ في التّصرّف في العمل العلميّ.

٣- افتعال مشكلة أمام النّصّ القرآنيّ، لا يعرفها تاريخ علوم القرآن، وهو ما يسمّى بالمشكلات الزّائفة؛ وذلك أنّ ترتيب النّزول لم يكن يومًا باعثًا على التّناقض؛ بسبب مخالفته للتّرتيب المصحف التّوقيفيّ، إلّا من وجهة النّظر الاستشراقيّة.

إنّ التّصرّف الاستشراقيّ في تغيير ترتيب السّور القرآنيّة بالتّقديم والتّأخير، لا يعبّر عن الموضوعيّة؛ لأنّه لا يكون إلّا على استحسانات ذوقيّة

خاصّة، وأخبار ظنّيّة، ونصوص تأريخيّة ضعيفة، لا يهدف المستشرقون به، إلّا مخالفة النّصّ القرآنيّ الثّابت عند المسلمين (٥٣).

ح- «زيادة عدد سور القرآن في بعض التّرجمات عن مئة وأربع عشرة سورة؛ بسبب استحسان المترجم لتقسيم السّور بلحاظٍ ما؛ كما فعل ريجيس بلاشير Régis) Blachère) في تقسيمه لسور القرآن؛ فقد جعلها مئة وستّ عشرة سورة؛ بالاعتماد على خصوصيّة مراحل الدّعوة، فقسّم سورتَي العلق والمدّثر إلى أربع سور، بدلًا من سورتين؛ وهذا خلاف ما يعهده المسلمون من عدد سور القرآن ومحتوياتها، وهو لا ينسجم مع المصحف الحاليّ، بل حتّى مع ما نقل عن مصاحف الصّحابة. وضع مقدّمات وملاحق مضلّلة ومغرضة إلى جانب ترجمتهم للقرآن» (٥٤).

وخلاصة القول أنّ ترجمات القرآن الكريم الّتي اعتمدها المستشرقون بمختلف توجهاتهم، إنما هي ترجمات لم تلتزم النّواحي العلمية للترجمة، كما لم تكن أمينة على النّصّ العربيّ الّذي لم يراجعه المترجمون إلّا في حالات نادرة، عندئذٍ يكفي أنْ نقولَ إنّ هذه التّرجمات، إنّما هي ترجمات شابها الخلل العلميّ والمنهجيّ، إضافة إلى ارتباطها بأهداف سياسيّة استشراقيّة دينيّة، ثمّ استعماريّة؛ هدفها تشويه صورة القرآن الكريم الّذي يشكّل الخطّ الأساس والمنهج المعتمد للمسلمين.

المبحث الثّالث: خصائص التّرجمات الأوروبّيّة

اتّصفت التّرجمات الغربيّة بخصائصَ؛ جعلتها في كثير من الأحيان تتّصف بالعشوائيّة المنهجيّة؛ وذلك بسبب الهدف الاستشراقيّ، الرّامي إلى تشويه النّصّ القرآنيّ، وتحقيق أهداف تنصيريّة مغرضة، أو من أجل خدمة المصالح، والأهواء الشّخصيّة للمستشرق، ومن أهمّ هذه الخصائص:

أ- اعتماد أغلب التّرجمات الأوروبّيّة على منهج التّرجمة الحرّة، والابتعاد عن التّرجمة العلميّة الموضوعيّة للقرآن كما تقتضيه آياته وألفاظه، والالتزام بحرّيّة التّرجمة((التزامهم بحرّيّة التّرجمة بحيث تأتي التّرجمة موافقة لأهوائهم من حيث التّصرّف بالنّصوص، عن طريق التّقديم والتّأخير والإهمال والتّحوير وغير ذلك))[٥٥].

وقد كانت التّرجمات الاستشراقيّة للقرآن الكريم في عصر النّهضة، مثالًا بارزًا للعشوائيّة المنهجيّة المدفوعة بالهدف الاستشراقيّ في تشويه النّصّ القرآنيّ؛ ممّا سوّغ التّغاضي عن أصول عمليّة التّرجمة وأخلاقيّاتها، فجاءت ترجمة حرّة دون قيد أو التزام منهجيّ يجنّبها التّناقض والتّضارب[٥٦]، وتجسّدت العشوائيّة المنهجيّة لترجمات المستشرقين للقرآن الكريم في عدد من الظّواهر منها :

١- الحذف: عمد المترجمون الغربيّون إلى تقديم مضمون إجماليّ للآية

القرآنيّة، المترجمة دون التّقيّد بمراعاة سائر مفرداتها، بما تضيفه إلى المعنى من تفصيلات، فلم تتقيّد التّرجمات الغربيّة بنقل جميع مفردات النّصّ القرآنيّ، ولا الالتفات لأهمّيّة السّياق في تقديم المعنى، وأمثلة الحذف في التّرجمة الأوروبّيّة كثيرة؛ منها:

– كما في ترجمة جورج سيل ((قد يسقط بعض الكلمات مثل إسقاطه لكلمة الرّحيم في ترجمة البسملة فيكتب في ترجمته: (In the Name of the Most Merciful God) معناها (بسم الله ذي الرّحمة للغاية)، ويفعل ذلك في كلّ مكان تقع فيها الكلمتان (الرّحْمَنِ الرّحيم)))[٥٧].

٢– الزّيادة: عمد الأوروبّيّون إلى إضافة عبارات كثيرة، خارجة عن معنى النّصّ القرآنيّ؛ وذلك من أجل تحريف مراد الآيات القرآنيّة، وصرفها عن معانيها الحقيقيّة؛ لتحقيق أهداف استشراقيّة مغرضة، ومن أهمّ أمثلتها:

– ((إدخال بعض العبارات المسيحيّة كما فعل ذلك سيل في ترجمة ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ...﴾[٥٨]، (Who believe in the mysteriesof the faith)، ومعناها: الّذين يؤمنون بأسرار العقيدة، وهذه ليست ترجمة لمعنى كلمة الغيب، و الّتي هي واضحة في اللّغة العربيّة وهو ما يقابل عالم الشّهادة، وهو ما لا تناله الحواس، أمّا ترجمة سيل فهي تتناسب مع مصطلح مسيحيّ، وهو(سرّ القربان المقدّس)))[٥٩].

- ((قد يدخل كلمة أو أكثر لتغيير المعنى، مثل ترجمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ...﴾[٦٠] بقوله: ((O men of Mecca، يعني يا أهل مكّة، أو ترجمة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ...﴾[٦١] (We make you O) (Arabians)، وهكذا فعل في أماكنَ أخرى؛ ليثبتَ أنّ القرآن الكريم والإسلام يخصّان العرب))[٦٢].

٣- تجاهل خصيصة النّظم القرآنيّ: لم يعرِ الاستشراق اهتمامًا للنّسق والنّظم القرآنيّ، كما أهمل كثيرًا من المزايا، الّتي شكّلت في مجموعها، الخصائص الفريدة للنّصّ القرآنيّ، ((وهذه الخصيصة القرآنيّة، ليست عرضًا ظاهريًّا، أو منحًى جانبيًّا في القرآن، بل هي جوهر الخصوصيّة القرآنيّة، ومناط التّفرّد اللّغويّ المعجز للنّصّ القرآنيّ، والنّظم القرآنيّ، هو أسلوب التّأليف المتفرّد في صياغة الجمل، وبناء التّراكيب وطرائق الأداء، في إطار محكم من الملائمة بين المعاني، ومراعاة المعاني والألفاظ، لمقتضى الأحوال والمواقف))[٦٣]، كما في ترجمة جورج سيل، ((الّذي اعتمد على أسلوب النّصّ النّثريّ المتواصل، الّذي يتألّف من جمل متواصلة، تفصل بينها علامة التّرقيم النّقطة، علمًا أنّ كلّ أنواع علامات التّرقيم الأخرى، مستخدمة في النّصّ؛ ممّا يعني أنّ المترجم اعتبر النّصّ القرآنيّ المترجم، كأيّ نصّ آخر، وهذا غير وارد، كما أنّ استخدامه للنّقطة داخل الآية الواحدة، يخلط على القارئ أمر بداية الآية ونهايتها))[٦٤].

٤- تعدّد نظام ترجمة أسماء السّور: في ترجمة أسماء السّور القرآنيّة، لم يلتزم المترجمون الاستشراقيّون بنهج ثابت. فمنهم من ترجم المعاني إلى اللّغات

الأوروبّيّة، ومنهم من اقتصر على ترجمة بعض الأسماء مع نقل بعضهم الآخر بالحروف اللّاتينيّة، هذا التّشتّت في أساليب التّرجمة الاستشراقيّة يجسّد الطّموح الاستشراقيّ الواضح في تشويه القرآن الكريم؛ وذلك بالنّظر إلى أنّ أسماء السّور القرآنيّة هي أسماء توقيفيّة، حتّى وإنْ كانت بعض السّور قد عُرفت بأسماء أخرى بين الصّحابة[٦٥].

ينطلق المستشرق الغربيّ من المنهج الذّاتويّ، في ترجمته لمعاني القرآن الكريم، وفي تعامله مع التّراث العربيّ الإسلاميّ؛ وذلك من رؤية لاهوتيّة مسيحيّة محرَّفة، تهدف إلى تفريق المسلمين، والطّعن في دينهم، وعقيدتهم، وكتابهم المقدّس، من أجل خدمة مصالح الأهواء الشّخصيّة للمستشرق.

ب- الضّعف اللّغويّ: لم يكن أغلب المترجمين مؤهّلين لغويًّا لممارسة عمليّة التّرجمة، ((جهل أغلب المستشرقين المترجمين باللّغة العربيّة وخصائصها اللّفظيّة والأسلوبيّة والمعنائيّة))[٦٦]، وقد أدّى الضّعف اللّغويّ لدى المترجمين، إلى وقوعهم في كثير من الأخطاء، والهفوات الّتي أثّرت تأثيرًا كبيرًا، في زيادة التّرجمات الغربيّة سوءًا، ((ولذلك فقد وردت أخطاء وهفوات عند المترجمين، مردّها سوء الفهم بشكل عامّ، ومنها ترجمة جورج سيل، الّذي لم يميِّز بين الفجر والصّبح والفلق؛ فكلّها عنده daybreak))[٦٧]، وكذلك خطأه في ترجمة لفظة (إدّا) في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [٦٨] ترجمة ضعيفة غير دقيقة بimpious أيْ: غير تقيّ))[٦٩].

وقد اعترف المستشرقون في أحيان كثيرة، بصعوبة اللّغة العربيّة، وجهلهم إيّاها؛ وهذا الأمر الّذي دفع كثيرًا منهم إلى ترجمة النّصّ القرآنيّ، بلغة وسيطة، وليس من النّصّ العربيّ مباشرة، ((لكنّ المترجمين كما يقول المستشرق (فيشر)[٧٠]، مستعربون من الطّبقة الثّانية، بل ومنهم من هم من الطّبقة الثّالثة والرّابعة، والقرآن الكريم هو المصدر الأوّل لمعرفة الدّين، والتّرجمة هي الطّريقة الوحيدة لإيصال لإسلام إلى العامّة))[٧١]؛ إذ إنّ الجهل الاستشراقيّ بخصائص اللّغة العربيّة المعنويّة، واللّفظيّة، والبلاغيّة، كان أمرًا متعمّدًا؛ وذلك لأنّهم لم يكونوا يرومون الخروج بترجمة منصفة، تحافظ على جمال النّصّ القرآنيّ، وتصون معانيَه الدّقيقة، وإنّما كان الهدف من التّرجمة هو التّشويه، والتّزييف، والتّضليل، ((وتدرك مؤسّسة التّرجمة المتحيّزة، القيمة البيانيّة الفائقة لآيات القرآن، ومدى تأثيرها على المتلقّي؛ ولذلك سعت إلى التّقليل من إعجازه البيانيّ، بمقارنته مع نصوص الأدب الجاهليّ عامّة، والمعلّقات خاصّة؛ لذا يعتقد كلود سفاري أنّ هذه النّصوص تشكّل المرجعيّة البيانيّة، والبلاغيّة، ويقع القرآن أدنى منها، وأضعف قيمة فنيّة منها))[٧٢].

ينطلق المستشرق في تعامله مع النّصّ القرآنيّ دراسة وترجمة، من أهدافٍ ودوافعَ بعيدة كلّ البعد عن الموضوعيّة والمنهج العلميّ، بل من أجل تحقيق أهداف، وغايات تبشيريّة مسيحيّة، ونفوذ سياسيّ واستعماريّ، يرمي إلى تفريق المسلمين وإضعاف قوّتهم، بالطّعن في دينهم وعقيدتهم؛ وذلك بالمِساس بكتابهم المقدّس الّذي يشكّل دستورهم رمز قوّتهم.

ويمكن القول أنّ المستشرقين، رغم عدم معرفتهم الكافية بعلوم اللّغة العربيّة وأنماطها، أضافوا إلى ترجماتهم سوءًا، بجهلهم بالتّراث العربيّ في عصر ما قبل الإسلام، فضلًا عن جهلهم بالحياة الاجتماعيّة العربيّة في العصر الإسلاميّ؛ لذلك فقد عانت ترجماتهم الأولى، من نقصٍ واضحٍ في عدم معرفتهم طبيعة المجتمع العربيّ والإسلاميّ، اجتماعيًّا وثقافيًّا، ما شكّل عائقًا كبيرًا في تقديم ترجمات متكاملة نصًّا ومضمونًا.

ج- إنّ كثيرًا من التّرجمات الأوروبية، لم تكن قد نقلت عن الأصل العربيّ؛ بل أنجزت بترجمة أوروبية سابقة لها، وهذا يعني أنّ التّرجمة الجديدة، تحتوي على أخطاء، ومغالطات، أكثر من سابقتها، وهذا يدلّ على مدى الحرص الغربيّ على التّضليل والتّزييف، وتشويه حقيقة النّصّ القرآنيّ، ((تعمّدت التّحوير في ترجمة بذاتها، عندما يعاد طبعها، بحيث يبرز شرح أو تفسير كلمة مغايرًا لما كان عليه في الطّبعة الأولى؛ ممّا يدلّ على روح التّضليل)) (٧٣)، الّتي واكبت التّرجمات باختلاف أوقاتها.

د- لم يكن الغربيّون في ترجمتهم للقرآن يعتمدون الموضوعيّة، بل عمدوا إلى التّغيير المتعمّد، والتّقديم، والتّأخير، والحذف، والإضافة في الكلمات القرآنيّة بما يناسب أهدافهم المغرضة، «إنّ هذه التّرجمات تحاشت ترجمة كلَّ اسم أو فعل، فيه معنى التّسليم والإسلام، أمثال مسلمون، مسلمًا، إنّ الدّين عند الله الإسلام، أو أنّها أسقطت الكثير، وحرفت الأكثر، وتحوّلت

كلمة المسلمين إلى إسماعيليين، أو إلى السّرسان، وأمثال هذا كثير؛ فإنّهم حذفوا ما شاؤوا، وحرّفوا ما شاؤوا، وأدخلوا في التّرجمة ما شاؤوا عمدًا، فجانبوا الأمانة ولحقتهم الخيانة(٧٤)، ثمّ حاولوا تغيير اسم الإسلام، واستبدلوه بالمحمّديّة؛ وذلك للتّنويه بأنّ هذا الدّين مفتعل، وهو ليس سوى مذهب ابتدعه نبيّ الإسلام محمّد ﷺ، ((سعى بعض المستشرقين لاستبدال اسم الإسلام بالمحمّدية؛ وذلك للإيحاء بأنّ تعاليم الإسلام، ليست سوى تعاليم محمّد الشّخصيّة، وقد تفتّقت من بنات أفكاره؛ تحاشيًا لربط الإسلام بالوحي، وتبريرًا لإلصاق التّهم والافتراءات الواهية بالرّسول ﷺ))(٧٥)، وقد ظهر هذا النّهج في معظم التّرجمات الأوروبّيّة، منها التّرجمة الفرنسيّة القديمة، الّتي أصبحت الأساس الّذي انطلقت منه ترجمات أوروبّيّة أخرى كثيرة، ((ومن المفارقات المتكرّرة في التّرجمات الفرنسيّة القديمة، ظاهرة الشّخصنة؛ وذلك بربط المسلمين بـ (محمّد) بشخصه؛ بوصفه مؤسّسًا لمذهب جديد (وليس دينًا)، وتضمر هذه النّسبة إلى الهُويّة الشّخصيّة، فلسفة عميقة الدّلالة، تجعل من الرّسالة الإسلاميّة مجرّد توجّه دينيّ، وتيّار فكريّ، ورؤية سياسيّة تسعى للهيمنة على الوجود، بالتّرغيب، والتّرهيب))(٧٦).

هـ- التّعامل مع ظاهر الألفاظ القرآنيّة: اهتمّت التّرجمة الاستشراقيّة الغربيّة بظاهر الألفاظ القرآنيّة، وأهملت الجوانب الأخرى، الّتي تشكّل بمجموعها، حقيقة النّصّ القرآنيّ، الّذي يتألّف من المعاني الظّاهريّة، والمعاني

الباطنيّة، والصّور الأدبيّة الّتي تكشف بمجموعها حقيقة الإعجاز القرآنيّ، من حيث بلاغتُه، وإيقاعُه، وتنغيمه، وتأثيره في النّفوس، يقول آربري: ((ليس من الصّعوبة بمكان على الباحث، تشخيص الوتيرة المملّة، والجامدة لكلّ التّرجمات الّتي طبعت بأسلوبها ترجمات القرون، الممتدّة من السّابع عشر حتّى العشرين؛ إذ يلاحظ في تلك التّرجمات طغيان النّزعة العاطفيّة، مع إيمان أعمى واستعباديّ موجّه للتّعامل مع مجرّد ظاهر اللّفظ فحسب، ولطالما كانت الضّابطة الحاكمة على تلك التّرجمات، الاكتفاء بالتّعامل مع ظاهر الألفاظ، وإهمال كلّ ما يتطابق مع عكس روح المعنى)) (٧٧)، ومن ثَمَّ فإنّ هذه التّرجمات، عمدت إلى عزل النّصّ عن سياقه، وجرّدته من أسباب نزوله، فخرجت بترجمات بعيدة كلّ البعد، عن المقاصد الإلهيّة، والمعاني القرآنيّة السّامية، ((إنّ هذه التّرجمات لمعاني الكتاب لا تكشف -في الواقع- حقيقة الإعجاز القرآنيّ الّذي يتمثّل في بيانه، وبلاغته، وتداوليّته، وإيقاعه، وتنغيمه، وتأثيره المدهش بخطاب التّرغيب والتّرهيب؛ بل تكتفي التّرجمة الاستشراقيّة، بإيراد المعنى الحقيقيّ للقرآن، دون المعنى المجازيّ، بعزله عن سياقه المرجعيّ، وفصله عن سبب نزوله، وتجريده من مقامه التّشريعيّ الكلّيّ، ومن ثَمّ لم تخرج التّرجمة الاستشراقيّة عن التّرجمات الحرفيّة، واللّفظيّة، والقاموسيّة، والتّفسيريّة الّتي تقف عند ظواهر النّصوص والآيات والسّور، دون أنْ تتعمّقَ في أبعادها الإيمانيّة والأخلاقيّة))(٧٨)،((وساهم ضعف المؤهّلات اللّغويّة، والعجز في فهم رسالة القرآن الكريم الرّوحية، في انزلاق المعنى وانتقاله من الدّلالة

المعقولة، والمنطقيّة، إلى المعنى السّطحيّ السّخيف، المختلط بالثّقافات المحلّيّة، والأساطير العامة؛ ما أنتج أحكامًا، ومواقف نمطيّة تجعل من المسلم أنموذجًا للوحشيّة، والتّخلّف، تضيع معها قداسة النّصّ القرآنيّ، ورُقيّه الرّوحيّ في العبادة، وإنسانيّته في التّشريع)) (٧٩).

و- إضافة حواشٍ وتعليقات: لم يكتفِ المستشرقون الغربيّون، بتحريف الآيات عن معانيها؛ بل عمدوا إلى إضافة الشّروح، والتّعليقات، الّتي أدّت بنحوٍ كبير إلى حرف مسار الآيات القرآنيّة، وتغيير دلالاتها، فجعلوا التّرجمات القرآنيّة، الّتي أنتجوها، تحوي عكس المقاصد الإلهيّة، بالاعتماد على تفاسيرَ ضعيفةٍ، وروايات إسرائيليّة مرفوضة، ((فعند تعليق روديل على قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ * وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾(٨٠)، قال: لمّا وصل الرّسول إلى قراءة هذه الآيات عند قراءته لهذه السّورة، في أوّل مرّة تابع قائلًا: تلك الغرانيق العلى، وإنّ شفاعتهم ترتجى، فأعجب الوثنيّون بهذه الآيات، إلّا أنّ محمّدًا رفض هذه الآيات بعد أيّام، واعتبرها آياتٍ شيطانيّةً، واستبدلت بالآيات الّتي تلي هذه الآيات حاليًّا، والاحتمال الوارد هو أنّه أراد بناءً على الصّعوبات الّتي واجهها، أنْ يحاولَ التّقريب فيما بينه وبين المشركين، ولكنّه سرعان ما ندم على ذلك، ويبدو أنّ رفض الأوثان في السّور الّتي تلي هذه السّورة جليّ وواضح)) (٨١).

ز- تأثرت ترجمات القرآن الكريم بتعاليم الكنيسة والكتاب المقدّس؛ وذلك في سياق تأريخيّ شهد سعيًا أوروبّيًّا مستمرًّا طَوالَ قرون للتّقليل من شأن إنجازات المسلمين وإغفال مساهماتهم الحضاريّة. هذه النّظرة المتحيّزة طبعت الأعمال البحثيّة والدّراسات الّتي أُجريت في هذا المجال.

تُعَدُّ الإحاطة بمفردات القرآن الكريم ومترادفاتها معيارًا أساسيًّا لتقييم جودة التّرجمة ومصداقيّتها. ومع ذلك، تأثّر بعض المترجمين بألفاظ الكتاب المقدّس وتعبيراته؛ ممّا جعل ترجماتهم عرضة للشّبهات والانتقادات اللّاذعة. بل إنّ بعضهم الآخر تجاوز ذلك إلى خلق الشّبهات وتشكيك القارئ المسيحيّ الغربيّ في القرآن الكريم، وقد أكّد هذا الأمرَ بعضُ المستشرقين، مثل البروفيسور آربري، مشيرين إلى أنّ المعلومات الّتي استقاها الغرب عن الإسلام لقرون طويلة كانت تعتمد على روايات محرّفة نقلها مسيحيّون متعصّبون؛ ممّا أدّى إلى انتشار اتّهامات لا أساس لها من الصّحّة وتفتقر إلى الموضوعيّة، وهذا الأمر أدّى بنحوٍ كبير، إلى انتشار شبهة، أنّ الإسلام مقتبس من الدّيانة اليهوديّة، والمسيحيّة[٨٢].

ح- استخدام لغة قديمة: اتّصفت التّرجمة الأوروبّيّة عامّة، باستخدام كلمات مبهمة غير واضحة المعاني، والاعتماد فيها على لغة قديمة، ويظهر ذلك واضحًا وضوحًا كبيرًا في التّرجمة الإنجليزيّة، وهي الّتي تكاد تكون مبهمة، ولا تفهم من الإنجليز أنفسهم، فقد استخدم جورج سيل في ترجمته المعروفة،

كثيرًا من الكلمات القديمة، وعدّت هذه من أهمّ المآخذ على ترجمته؛ فقد أصبحت بعيدة عن الفهم، وزادت من إبهام معاني القرآن(٨٣).

ط- الجهل بالمعاني الدّقيقة للكلمات العربيّة: وذلك كما نرى في ترجمة (بالمر) (Palmer) للآية: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا﴾ (٨٤)، فيقول عن أبصر به وأسمع أنّها تعنى: (أنّه يستطيع أنْ يرى ويسمعَ)، (He can see and hear)، على حين ترجمها (سيل) على أنّها: (هل أنت الّذي تستطيع أنْ تجعلَ الله تعالى يرى ويسمع)، (Do thou make him to see and to hear)، ويترجمها (رودويل) بأنّها(انظر وأصغِ إليه تعالى وحده)، (Look thou and hearken to) him، ولقد كتب (بالمر) (Palmer) فقال في محاولة منه لترجمة الآية: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٨٥)؛ ولا سيّما عن (ذلك يوم التّغابن)؛ فقال: (ذلك يوم الغش والاحتيال)، وأراد أنْ يوضّحَ ويزيدَ؛ فقال: ((بمعنى أنّ كلًّا من الأخيار والأشرار سيخيب كلّ منهما ظنّ الآخر؛ وذلك بتبديل مواضعهم، فيعاقب الأشرار، وينعم الأخيار))، ولكن ما نعرفه أنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ المؤمنين والكافرين لن يبدلّوا مواضعهم

مطلقًا، كما أنّ المؤمنين لن تخيبَ آمالهم أبدًا في يوم الفصل؛ وذلك لأنّ كلمة (التغابن) لا تعني الخداع، ولكن تعني أنْ يقاضى كلّ طرف الآخر، ويرفع ما يشبه الدّعوى في محكمة الفصل يوم القيامة. كذلك أنّ الآية الكريمة لا تقول بأيّ حال من الأحوال بما جاء به المستشرق عن موضع كلّ من المؤمنين والكافرين(٨٦).

نتائج البحث :

١- تتّخذ عمليّة ترجمة القرآن الكريم أهمّيّة كبيرة؛ لكونها ضروريّة في عمليّة تبليغ الدّين الإسلاميّ للأقوام غير النّاطقة بالعربيّة، و هو جزء من تحقيقه الإرادة الإلهيّة؛ و هي إظهاره على الدّين كلّه، فبالتّرجمة تعرف الشّعوب المختلفة حقائق الإسلام، و تعاليمه؛ لتقوم عليهم بذلك الحجّة.

٢- اعتماد أغلب التّرجمات الغربيّة للقرآن الكريم على التّرجمة الحرفيّة، الّتي أدّت إلى الإخلال بالمعاني، وتزييف الحقائق القرآنيّة، انطلاقًا من الهدف الاستشراقيّ الرّامي إلى الانتقاص من القرآن الكريم.

٣- اعتماد أغلب التّرجمات الأوروبّيّة على ترجمات سابقة، وهي الّتي اتّصفت بالسّوء، والعداء، وقصور مؤلّفيها عن معرفة الخصائص اللّفظيّة، والأسلوبيّة لِلّغة العربيّة، وعندئذٍ توالي الأخطاء، وزيادتها في كلّ ترجمة، لم تنطلق عن الأصل العربيّ.

٤- لم يكتفِ المستشرقون الغربيّون في اعتماد التّرجمة الحرّة للقرآن الكريم، الّتي تعمّدوا فيها الحذف، والزّيادة في الآيات القرآنيّة، بل عملوا على وضع حواشٍ، وتعليقات، وشروح، عملت عملًا كبيرًا على تحريف المعاني القرآنيّة؛ لتؤدّيَ إلى عكس المقاصد الإلهيّة.

الهوامش:

١– ظ: لسان العرب ، ابن منظور ، ج٢: ص٢٦.

٢– القاموس المحيط ، الفيروز ابادي : ص ١٨٧.

٣– اساس البلاغة ، الزّمخشري ، ج٢: ص٢٢ .

٤– ظ: لسان العرب ، ابن منظور ، ج٢: ص٢٦.

٥– مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزّرقاني ، ج٢: ص٩١ .

٦– المستشرقون والدراسات القرانية ، محمد حسين الصّغير: ص ١١٣.

٧– مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزّرقاني ، ج٢ : ص٩١ .

٨– ترجمة القران الكريم حقيقتها وحكمها، على بن سليمان العبيد: ص ١٤.

٩– القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب: ص ٨٣٩.

١٠– ظ: أثار الاستشراق الألمانى فى الدراسات القرانية، أمجد يونس الجنابي، (أطروحة دكتوراة): ص ١٤٢.

١١– القول السّديد في حكم ترجمة القرآن المجيد، ، محمد مصطفى الشّاطر: ص ١٢.

١٢– ظ: التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ، ج ٩ : ص ١٠٤.

١٣– المصدر نفسه .

١٤– مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزّرقاني ، ج٢ : ص٩٢.

١٥– القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب ، ص ٣٣٩ .

١٦– ظ: المستشرقون والقران الكريم ، محمد امين حسن ، ص ٣٦٤.

١٧– ظ: التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ، ج٩ص ١٠٥–١٠٧ .

١٨– المستشرقون وترجمة القران الكريم ، محمد صالح البنداق : ص ٤٩ –٥١.

١٩- ظ: التمهيد في علوم القرآن ، محمد هادي معرفة ، ج٩ : ص ١٠٧.

٢٠- المستشرقون وترجمة القران الكريم ، محمد صالح البنداق :ص ٤٩ - ٥١.

٢١- ترجمة معاني القرآن وتطور فهمه عند الغرب، عبد الله عباس النّدوي : ص ١٤.

٢٢- ظ: ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين : ص ٨٤.

٢٣- ظ : المصدر نفسه: ص٧٨.

٢٤- جيوم ، مستشرق بريطاني ولد عام ١٨٨٨م، تخصص في دراسة الشّريعة والقرآن الكريم، والحديث والحضارة الإسلامية عمومًا، ومن اثاره (تراث الاسلام) و (اثر اليهوديه في الاسلام) و(اليهود والعرب) للمزيد ظ: ويكيبيديا https: / /ar.wikipedia.org

٢٥- المستشرقون والقران الكريم ، محمد امين حسين : ص٣٠٠.

٢٦- ق : ٤٣

٢٧- المستشرقون والقران الكريم ، محمد أمين حسين : ص٣٠٠.

٢٨- ترجمة القرآن عند المستشرقين ، مجموعة باحثين: ص٨١.

٢٩- بوكاي : طبيبٌ فَرَنسي، رئيس قسم الجراحة في جامعة باريس، اعتنق الإسلام عام ١٩٨٢م، ويُعتبَر كتابه (التوراة والقرآن والعلم)، من أهم الكتب التي درَست الكتب المقدَّسة على ضوءِ المعارف الحديثة، وله كتاب (القرآن الكريم والعلم العصري)، منحتْه الأكاديمية الفَرَنسية عام ١٩٨٨م جائزةً في التاريخ ، للمزيد ظ : رحلة ايمانية مع رجال ونساء أسلموا ، عبد الرّحمن محمود ، ص١٩٠.

٣٠- ظ : مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن : ص٥

٣١- ترجمة القرآن عند المستشرقين ، مجموعة باحثين: ص ٧٠

٣٢- المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، محمد صالح البنداق: ص ١٠٨

٣٣- القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب : ص ٣٥٣

٣٤- القرآن والمستشرقون، مجموعة باحثين، ج٢: ص ١٢١

٣٥- القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، محمود علي سرائب :ص ٣٥٤

٣٦- المصدر نفسه

٣٧- ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين:ص ٢٣

٣٨- ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين: ص ٦٩.

٣٩- القرأن الكريم في الدراسات الاستشراقية، محمود علي سرائب :ص ٣٥٥.

٤٠- ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين: ص ٦٩.

٤١- البقرة: ١٠

٤٢- المستشرقون والقران الكريم، محمد بهاء حسين: ص ٣٠٣

٤٣- الشّورى: ٣٢.

٤٤- الرّحمن: ٢٤

٤٥- المستشرقون والقران الكريم، محمد بهاء حسين: ص٣٠٣

٤٦- ظ : مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن: ص٧-٨

٤٧- القرآن الكريم والدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب : ص ٣٥٥.

٤٨- ظ: القران الكريم في الدراسات الاستشراقية، محمود علي سرائب: ص ٣٥٥.

٤٩- المستشرقون وترجمة القران الكريم، محمد صالح البنداق:ص ١٠٢.

٥٠- مناهج المستشرقين في ترجمة القران الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن: ص ٨-٩.

٥١- المصدر نفسه.

٥٢- ظ: مناهج المستشرقين في ترجمات معاني القرآن الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن : ص ١٢

٥٣- ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين: ص ٢٣

٥٤- نفس المصدر .

٥٥- القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب ، ص ١٠١

٥٦- ظ : منهاج المستشرقين في ترجمات معاني القران الكريم عبد الرّاضي عبد المحسن : ص ٣١

٥٧- القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب :ص ٣٦٢

٥٨- البقرة : ٣.

٥٩- القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب :ص ٣٦٢

٦٠- البقرة :٢١.

٦١- البقرة : ١٤٣.

٦٢- القران الكريم في الدراسات الاستشراقية، محمود علي سرائب : ص٣٦٢.

٦٣- مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القران الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن: ص٣٤

٦٤- أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القران الكريم، حسن سعيد غزاله: ص ٣

٦٥- ظ : مناهج المستشرقين في ترجمة معاني القران الكريم، عبد الرّاضي عبد المحسن: ص ٣٤-٣٦

٦٦- ترجمة القرآن عند المستشرقين، مجموعة باحثين: ص ٢٣

٦٧- أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، حسن سعيد غزاله: ص ١٧.

٦٨- مريم : ٨٩

٦٩- أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، حسن سعيد غزاله: ص ٤٥

٧٠- فيشر : مستشرق ألماني ولد أوجست فشر في ١٨٦٥ وتوفي في ١٤ فبراير ١٩٤٩ اختص باللّغة العربية: نحوًا وصرفًا ومعجمًا، مواصلًا الدرب الذي بدأه أستاذه اللّغوي العظيم هينرش

ليبرشت فليشر Heinrich Leberecht Fleicher مؤسس ما يعرف باسم مدرسة ليبتسك Leipziger في الاستشراق الألماني.للمزيد ظ : موسوعه المستشرقين، عبد الرّحمن بدوي: ص ٤٠٣

٧١- القران الكريم في دائرة المعارف الإسلامية ، حميد بن ناصر الحميد: ص ١٠

٧٢- القران والمستشرقون ، مجموعة باحثين ، ج٢ :ص ١٢٣

٧٣- المستشرقون وترجمة القران الكريم، محمد صالح البنداق: ص ١٠٥

٧٤- الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، قاسم السّامرائي: ص ٦٣

٧٥- دراسات استشراقية، نقد خلفيات المستشرقين في ترجمة القران محمد موسوي مقدم، العدد ٢٨ : ص ٦١

٧٦- القران والمستشرقون، مجموعة باحثين : ص ١٢٥

٧٧- دراسات استشراقية، محمد موسوي مقدم، العدد ٢٨: ص ٥٧

٧٨- ترجمة القرآن عند المستشرقين ، مجموعة باحثين: ص ٧١

٧٩- القرآن والمستشرقون ، مجموعة باحثين، ج٢: ص ١١٧

٨٠- النّجم : ١٩-٢٠

٨١- القران الكريم في الدراسات الاستشراقية ، محمود علي سرائب: ص ٣٦٥

٨٢- ظ : دراسات استشراقية ، محمد موسوي مقدم، العدد ٢٨ : ص٥٠

٨٣- ظ : أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم، حسن سعد غزاله: ص٦

٨٤- الكهف : ٢٦

٨٥- التغابن : ٩

٨٦- الاستشراق والقرآن العظيم، محمد خليفه : ص١٢٦-١٢٧.

المصادر والمراجع:

* القرآن الكريم.

١. الجنابي، أمجد يونس، آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، أطروحة الدكتوراه، كلية الآداب، الجامعة العراقية، ٢٠١٢ م.

٢. الزّمخشري، جار الله محمد بن عمر ،ت ٥٣٨ هـ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السّود ،دار الكتب العلمية ،بيروت ،ط١ ١٩٩٨ م.

٣. غزالة، د. حسن سعيد، أساليب المستشرقين في ترجمة معاني القرآن الكريم. دراسة أسلوبية لترجمتي سيل واربري لمعاني القرآن الكريم في الإنجليزية، (د.ط)،(د.ت).

٤. قاسم السّامرائي، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية، دار الرّفاعي، ط١٩٨٣،١م.

٥. خليفة، د. محمد، الاستشراق والقرآن العظيم ، ترجمه مروان عبد الصّبور شاهين، دار الاعتصام، القاهره ،ط١ ،١٩٩٤ م .

٦. جيوم تراث الإسلام - بمعاونة أرنولد وآربري (لندن ٤٢٩١ م، أكسفورد ١٣٩١ م) ، نقله إلى العربية توفيق الطويل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ٦٣٩١ م.

٧. مجموعة باحثين، ترجمة القرآن عند المستشرقين، مقاربات نقدية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، النّجف، ط١، ٢٠٢٠ م.

٨. العبيد، علي بن سلمان، ترجمة القرآن الكريم حقيقتها وحكمها، بحث ندوة، ترجمة معاني القرآن الكريم تقويم للماضي وتخطيط للمستقبل، عام ١٤٢٢ هـ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف.

٩. النّدوي، عبد الله عباس، ترجمة معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب، رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٧٤، ١٤١٧ هـ .

١٠. معرفه، محمد هادي، التمهيد في علوم القرآن، ت١٤٢٣ هـ، مطبعة ستاره، ط٢، ٢٠٠٩ م.

١١. عبد الرّحمن، محمود، رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا، (د.ط)،(د.ت).

١٢. عبد المحسن، د. عبد الرّاضي محمد ، الغارة التنصيرية على أصالة القرآن الكريم، (د.ط)،(د.ت).

١٣. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ت ٨١٧ هـ، دار الحديث، القاهرة، ط،٢٠٠٨ م .

١٤. سرائب، محمود علي، القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العتبة العباسية، النّجف، ط١،٢٠٢١ م.

١٥. الحميد، د. حميد بن ناصر، القرآن الكريم في دائرة المعارف الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).

١٦. الشّاطر، محمد مصطفى، القول السّديد في حكم ترجمة القرآن المجيد، مطبعة حجازي، القاهرة، (د.ط)،١٩٣٦ م .

١٧. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، دار إحياء التّراث، بيروت، ط٣، ١٩٩٩ م.

١٨. الصّغير، محمد حسين، المستشرقون والدراسات القرآنية، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٩ م.

١٩. بني عامر، محمد أمين حسين، المستشرقون والقرآن الكريم، دار الأمل، الاردن، ط١، ٢٠٠٤ م.

٢٠. محمد بهاء الدين حسين، المستشرقون والقرآن الكريم، دار النّفائس، الجامعة الإسلاميّة العالمية بماليزيا، ط١، ٢٠١٤م.

٢١. البنداق، محمد صالح، المستشرقون وترجمة القرآن الكريم، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٨٠ م.

٢٢. الزّرقاني، محمد عبد العظيم، ت ١٣٦٧هـ، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

٢٣. بدوي، د.عبد الرّحمن، موسوعة الفلسفة، الموسوعة العربية للدراسات والنّشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤ م.

٢٤. مقدم، سيد محمد موسوي، نقد خلفيات المستشرقين في ترجمة القرآن، ترجمة علي فخر الإسلام، مجلة الدراسات الاستشراقية، العدد ٢٨، خريف ٢٠٢١ م.